

ابعد من المجد

اخى الكريم
تلقيت كتابك المتوج بـ «دار
العلم للملايين» ، والموقع
بـ «الدكتور سهيل ادريس» .

الكتاب . أو ذلك هو مثل
الفنان الاعلى . هكذا يسميها
الناس ، وانت منهم ، وهذه
الألقاب يدلون عليها . اما انا

فعذرك إذا لم اوفق منذ البداية الى هذه الألفاظ والنعوت .
وعذرك ، من بعد ، اذا صارحتك بانني اكره الأخذ بها . .
ترى ، أهي ، في الاصل ، أقصر من ان تطال ما اريد ، أم هي
الكلمة تلوكها الالسن وتتداولها الاقلام فتفقد طعمها ، فهي

ولك ان تقدر احترامي للتاج ، وودي واخلاصي للتوقيع . اما
ما بينها من آمال معقودة على « الآداب » ، فشيء تعلق بنفسي
منه استياء تطفو وتغور . ربما اختفت دهرآ ، فخلتها زالت
واضحلت ، ثم إذا هي تعود فجأة وتتلع اغناقها ، ليس لها

سمت ولا ميعاد . قد
تطالعتني وانا آكل أو
اشرب ، فأغصّ باللقمة
والماء القراح ، وفد
تترأى لي في الحلم فتقض
عليّ مضجعي . ولعلّ
أشد ما يكون وقعها
عليّ إذا اكون سائراً في
طريقي - كعهدي بك
في بيروت بالأمس -
فتبغتنني في منعطف
وتتناولني بيديني
جبارتين ، على هزلهما ،
وتخبطني بالحيط خبطاً .

كان رئيس التحرير قد وجه الى الاستاذ توفيق يوسف عواد القائم
بأعمال المفوضية اللبنانية في طهران والاستاذ فؤاد الشايب المدير العام
للدعاية والنشر في سوريا رسالتين بغريهما فيها بالعودة الى ميدان
الأدب الرفيع ، وهما من فوسانه المجائبين ، بعد ان هجراه فترة هي
في حساب المعجبين بها طويلة .

ويُسعد « الآداب » ان يكون لصوتها صدىً بعيد الغور في نفسي
الادبيين الصامتين ، ويسرها ان تنشر فيما يلي جوايبها ، وهما فلذتان
حيّتان من رائع « أدب الرسائل » . وسوف نقدم الى القراء في العدد
القادم اولى ثمرات الاستاذ عواد الجديدة ، فيما نحن نزجي الى الاستاذ
الشايب رغبة مخلص في ان يستمد من الاوضاع التي تعيش فيها بلاده
وبلاد العرب جميعاً مادةً حيّة لألوان من أدبه المعبر العميق ، فيفيد
بلاده بالأدب كما يفيدها بالمنصب الرفيع الذي يتبوأه .

وتصبح معلقة بي : « أنا هنا ، يا خائن ، فأين انت ! »

عجيب امري مع هذه المخلوقة العجيبة ! ولو سألتني ان اسميها
او اصفها لك لما استطعت . شيء - قلت لك - او اشياء
تتجسد حيناً في كتاب جديد يعترضني في واجهة فأقف إزاءه
مبهوتاً ، ادفع انقي في الزجاج وأودّ لو اقتحمه لأشم رائحة
الخبز بلّ ، رثي وأقضم الحروف باسناني . وتتجسد حيناً في ورقة
خريف تتهاوى على رأسي في زهة ، أو في نجمة شاحبة تطل في
افق السماء . وبينما هي تخرج من اسمال فقير يزحف على الخضيب
تارة ، إذا هي تارة أخرى تتلهم في « الفراك » الذي أترمل به
في بعض اوقاتي ؛ حتى لقد ضاقت بي وضقت بها ذات يوم ، وانا
الحني امام ملك من ملوك الدنيا ، فوفقت دوني ودونه حية تفحّ
ما يزال لفحّ سمها في وجهي .

تلك هي الآمال المعقودة على « الآداب » . او تلك هي رسالة

على الاستعمال بغيّ ؟
كل ما اعرفه ، يا
اخى ، انني طلبت
الكتابة منذ زمان ،
وانني منذ ان طلقتها
وكأني سلخت مني شيئاً
كان في وقت من
الاقوات كل شيء . اذا
قلت اللذة قصرت ،
واذا قلت المجد جدت ،
وإذا قلت الهناء كلها لم
أقل شيئاً ، لأنه كان
أعمق من اللذة كلها ،
وأبعد من المجد كله ،

وابقى من الهناء . وانا اذكر ذلك جيداً .

بل انا اعرف ذلك جيداً ، فما بالي أدور وأراوغ ؟ كل
الظن انني اتمس الاعذار بل الاستار لحيانة ارتكبتها وما أزال
ارتكبتها كل يوم وكل ساعة . دونها خيانة الحليل لحيلتها ،
والجندي لوطنه ، والمؤمن المتعبد لربه وخالفه .
كيف لا وهي خيانة النفس !

اجل ؛ خائن نفسي انا . اضطرتني ، يا اخي ، الى قولها بما
سقت إليّ ، وإلى امشالي ، من تعنيف ، وما ازجيتته من
استثارة للعودة او بالحري التوبة . فأنت قادر على حملي بها ؟
أتكون « الآداب » خليفة بان تردني الى ضالتي المنشودة او
تردها إليّ ، فاطوقها من جديد بذراعي واجعل ذراعيها طوقاً
في عنقي الى الابد ؟ ام تكون قصارك انك التقيت في المياه
الراكدة حصاةً وحركت في طمأنينتي توبة كاذبة تنقضي بكلمة
حلاوتها من الشفاه وقبله لا حلاوة لها ، وبعدهما اعود الى
صحراء الحرمان وجهنم الحيانة ؟ . . .

توفيق يوسف عواد

طهران